وثيقة مبادئ لمجلس أعيان وشيوخ مناطق الشهباء

سوريا التي كانت أرض السلام والمحبة ومهد الحضارات البشرية تبلور فيها غنى الثقافة الإنسانية منذ فجر التاريخ، فمن ربوعها نشأت ثقافة الخير والتسامح وانتشرت إلى أصقاع المعمورة كما لعبت دوراً مميزاً وحاضنة خصبة لاستقبال ونشر وتلاقي وحوار كافة الثقافات والشرائع والأديان السماوية السمحاء وانطلاقها نحو الغرب والشرق، لنشر المعرفة والتعارف والتعايش السلمي والتعاون في الخير والمحبة بين جميع الأعراق والأجناس البشرية وترسيخ أخوة الشعوب فيما بينها.

إن سوريا الغنية بمواردها وثرواتها الطبيعية والبشرية وإمكاناتها الاقتصادية وموقعها الجغرافي كممر طبيعي بين القارات الرئيسية في العالم، جعلها محط أنظار ومطامع القوى العظمى، بيد أنها ظلت محافظة على بقائها متألقة كدرّة الشرق مستمدة القوة من تنوعها المجتمعي وروافد ثقافتها المتجذرة، معبرة عن فسيفسائها المتعدد الألوان لكل مكوناتها وأعراقها التي ظلت متعايشة ومتآلفة، حيث لم يشهد التاريخ أي حادث تناحري أو دموي بين هذه الأطياف والمكونات في دلالة على رقي ثقافتها وتعددية بناءها الحضاري، حيث ترسخت قيم التسامح والتعايش السلمي الحر بين جميع مللها وأعراقها وأديانها على مختلف مكوناتهم العرقية والمذهبية وحتى الطائفية.

مما لا شك فيه أن الأزمة التي تمر بها منطقتنا هي نتاج الأزمة الاقتصادية التي تفاقمت في إطار التنافس والصراع الاحتكاري بين الإمبراطوريات الاقتصادية والمالية والتكتلات ومراكز القوى العالمية الكبرى، ومحاولتها لبسط نفوذها على الأسواق العالمية والمناطق الغنية ومقدرات الشعوب، وإعادة ترتيب الأوراق لإنتاج مجتمع ذي ثقافة هشة تندرج في إطار خدمة أجنداتها وسياستها وأطماعها عبر ترسيخ الانقسامات المجتمعية وفرض نموذج الدولة القومية، على غرار ما أفرزته اتفاقية سايكس- بيكو، حيث أنتجت معها أنظمة فئوية دكتاتورية وطائفية كوكيلة لها لتسهيل سلب ونهب الثروات الاقتصادية، والتي فرضت نفسها كواقع عبر مصادرة جميع أنواع الحقوق والحريات، الأمر الذي أفضى لخلق ونشر ثقافة وذهنية عدائية متضادة بين شعوب المنطقة، وتسويق سياساتها التجزيئية (فرق تسد) بين المجتمعات عبر دسّ روح الفتن والعداء بين شعوب المنطقة ومعتقداتها حسب مقتضيات سياستها التوسعية، والتي تمثلت في إنتاج مؤسسات قومية عنصرية غريبة عن جسد وثقافة شعوب المنطقة، لتقطع بذلك التواصل الحضاري والثقافي والنتاج المشترك لكافة الشعوب طيلة قرون مضت.

ومع بروز الانتكاسات والتدهور في البنى المجتمعية والعراقيل من جانب الدول والحكومات المستبدة والتابعة للمراكز الاقتصادية العالمية في منطقتنا، ناهيك عن ظهور تنافس جديد ومنظم بين القوى العالمية التقليدية والصاعدة لأجل لعب دور وكسب بعض الامتيازات في أسواق المنطقة ومواردها عن طريق التحالف مع الحكومات المتخبطة، ظهر للعيان بوادر تقسيمات جديدة للمنطقة على أسس ومقاييس وترتيبات جديدة. وما الحرب الدائرة رحاها في سوريا منذ خمسة سنوات سوى إحدى إرهاصات الأزمة الكونية في تجلياتها الإقليمية.

إن الممارسات اللامسؤولة التي أتبعها النظام خلال نصف قرن، والتي استباح فيها سوريا، من تسلط وخنق الحريات العامة وكمّ الأفواه، حط بنا الرحال إلى هذا المستنقع الرهيب الذي تعاني منه سوريا، إذ إن العقلية الشمولية والعقائدية الجامدة التي اتبعها النظام الاستبدادي كانت سبباً في تحطيم آمال شعبنا في التحرر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وحتى الثقافي والفكري وكرّس وعمق التعصب القومي والطائفي والمذهبي بدلاً عن قيم التعايش السلمي الديمقراطي والتنوع الثقافي بين المكونات السورية، فممارسات النظام في جميع المجالات وإدارة الدولة والمجتمع من قبل الدوائر الأمنية وازدياد نفوذها على حساب تهميش المجتمع في إطار عقلية الحزب الواحد، غذى الثقافة الشمولية ذات الوجه الواحد من خلال اضطهاده للمكونات والأقليات ووضعها في خدمة أجنداته الطائفية والعائلية الضيقة، والتضييق على المعارضة الوطنية الديمقراطية، وكان ذلك عاملاً في ركود الحياة السياسية التي انعكست تخلفاً على كل مناحي الحياة العامة وعدم إمكانية التحرر من هذه السلبيات إلا عبر ثورة ديمقراطية تستأصل الذهنية القمعية والشمولية وتؤسس لحالة ديمقراطية تعددية معاصرة.

ومنذ اليوم الأول لانطلاق الاحتجاجات الشعبية السلمية في سوريا، أيقنت القوى العالمية والإقليمية أن انتصار الثورة السورية سوف يغير الوضع السياسي والاجتماعي وسيفرض وقائع جديدة لصالح شعوب المنطقة، وسوف تزلزل أركان الأنظمة القمعية وتهدد مصالحها الفئوية، فبدأت التدخلات الدولية والإقليمية والتي عملت في الخفاء وفي العلن للجم التحركات والاحتجاجات وخنقها ودفنها في مهدها قبل فوات الأوان، وإفراغ مسارها الديمقراطي الحر. كل هذا أفضى إلى نمو الحركات الأصولية المتطرفة، واستغلالها ضعف ووهن قوى المعارضة الحاملة للفكر الديمقراطي الحر، وتحولت سوريا إلى ساحة حرب ومركزاً ميدانياً للصراع والتنافس وتصفية الحسابات، على حساب مقدرات الشعب السوري ودماء أبناءه، بدءاً من تسويق الثورة ثم المساومة عليها وشرذمتها إلى عصابات هدفها النهب والسلب وتدمير البنية التحتية للمجتمع السوري، عبر العمل على تحريف مسار الثورة الحقيقي السلمي والديمقراطي وزجها في معارك جانبية بعيدة كل البعد عن أهدافها الحقيقية والمشروعة وطموحات الشعب السوري.

مما لا شك فيه أن النظام الاستبدادي يتحمل مسؤولية الأوضاع التي آلت إليها سوريا، وهو المتهم الرئيسي في وصول سوريا إلى هذا النفق المظلم وتوجهها نحو المجهول والضياع، وذلك لعدم استيعاب عقلية النظام لطبيعة الاحتجاجات وعدم تفهمه لحركة المجتمعات والصراعات الكامنة فيها وتطورها وتمسكه بالعقلية الفردية والثقافة القومية الإقصائية، بيد أنه لا يمكن تبرئة ساحة المعارضة التي ارتهنت للأجندات الخارجية وأصبحت أداة طيعة لتنفيذ مطامع بعض الدول الإقليمية، فالمعارضة فشلت في أن تكون حاضنة للحراك الجماهيري العفوي الذي عانى الأمرين. فتعددت الهيئات والمجالس التي تدعي أنها معارضة، ولكنها بالمجمل لم تترجم طموحات وآمال السوريين رغم ادعائها بتمثيل القوى الجماهيرية والشعبية، نتيجة غياب العقلانية والرؤية الصحيحة، إضافة لرفضها مبدأ الحوار والنقاش والتصالح لتحديد الاستراتيجية المستقبلية لسوريا، وتحديد هويتها وهوية نظام حكمها أمام المجتمع الدولي، مما جعلها نسخة أقرب إلى النظام عبر عدم اعترافها بحقوق مكونات المجتمع السوري وتهميش دورها في الميدان الوطني والدولي، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث بدأت بمسلسل تصفية الحسابات تحت اسم التكفير والتخوين، كل هذه النتائج أدت إلى ترك الساحة أمام انتشار التنظيمات المتطرفة والمتشددة المرتبطة بدوائر الاستخبارات الدولية والإقليمية، لتصبح الساحة السورية محطاً لاستقبال واستقطاب تدفق التنظيمات الإرهابية التكفيرية، لأجل خلق أرضية خصبة كي تتطور وتنشط المفاهيم الطائفية والعنصرية والمذهبية المتطرفة بين أبناء مكونات الشعب السوري الواحد، لتمرير سياساتهم وأجنداتهم، من خلال ضرب ونسف الثقافة السورية الجامعة ثم خنق آمال وتطلعات المجتمع السوري بجميع مكوناته والإجهاز عليها. كل ذلك تحت غطاء ادعاءاتهم بأنهم يدعمون الثورة علانية ثم يقومون بإرسال الجماعات الإرهابية المتطرفة تحت مسمى المعارضة السورية لمحاربة النظام، لكنها لم تمارس على أرض الواقع سوى الإجرام والإرهاب وسفك الدماء والمجازر بحق كل المكونات السورية ونسفت ثقافة التعايش السلمي بين أطياف المجتمع السوري. وفي خضم هذه الفوضى لم تخف بعض الدول الإقليمية أطماعها في الأرض السورية عبر مطالبتها المتكررة بإقامة منطقة آمنة أو عازلة في مناطق الشهباء التاريخية التي تعتبر بوابة العمق السوري، وذلك بغرض إشباع رغبتها التوسعية على حساب تطلعات السوريين في الحرية والديمقراطية واستغلال معاناتهم وذلك بحجج وذرائع شتى لا تمت للواقع بصلة.

إن مناطق الشهباء التاريخية الغنية بمواردها وإمكاناتها الاقتصادية وسهولها الخصبة التي تميزها عن غيرها من المناطق في سوريا، كونها تعتبر موقعاً جغرافياً واستراتيجياً هاماً ببواباتها السهلية نحو الشرق بعد اجتياز السلاسل الجبلية لجبال طوروس وأمانوس وكممر للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، علاوة على مرور خط الحرير التاريخي عبرها، وتضم مناطق الشهباء عدة مدن وسهول بين نهر الفرات شرقاً وجبال ليلون غرباً، وبامتداد ١٠٠ كم تقريباً وبعمق ٦٠ كم، والحواضر المدينية التاريخية شاهدة على قدم هذه المنطقة وعراقتها مثل: جرابلس، منبج، الباب، إعزاز، تل أرفاد، السفيرة وسمعان، وتعتبر نموذجاً مصغراً للتنوع الديمغرافي ضمن الخارطة السورية والعنوان البارز والرئيسي للحضارة الشرقية، ومن خلالها يمكننا التعرف على هوية الحضارة السورية عموماً، وبالتالي فإن خلاص مناطق الشهباء يعتبر خلاصاً لكل سوريا والسوريين.

ولا تخفى الأطماع والنوايا التوسعية لبعض القوى الإقليمية الرامية للهيمنة على مناطق الشهباء الاستراتيجية والتي تتلخص في النقاط التالية:

١- تعتبر من أغنى المناطق ضمن الجغرافية السورية لوفرة مواردها وخيرات أرضها، ناهيك عن العمق التاريخي والحضاري لمدنها.
٢- تعتبر نقطة ارتكاز استراتيجية وبمثابة المفتاح للعمق السوري، فهي تعتبر عقدة الوصل بين الرقة شرقاً وحلب غرباً، ومن خلال السيطرة عليها تحاول الاستحواذ على كل الشمال السوري.
٣- العمل بكل الوسائل لإحداث تغيير ديمغرافي في مناطق الشهباء من خلال تهجير مكوناتها التاريخية والسكان الأصليين وتوطين المرتزقة ممن تم جلبهم من مناطق بحز قزوين وأسيا الوسطى وإدخالهم إلى مناطق الشهباء بحجة إعادة النازحين.
٤- السيطرة على مناطق الشهباء للاستحواذ على ورقة ضغط للمساومة عليها مع النظام الجائر والتوافق معه في رسم ملامح أية تسوية محتملة على حساب دماء السوريين.
٥- قطع أوصال قوى الثورة الديمقراطية في الشمال السوري.
٦- استخدام محاربة تنظيم داعش الإرهابي كذريعة للسيطرة على مناطق الشهباء، ثم العمل لإعادة تموضع أطراف وفصائل المرتزقة لتبادل الأدوار ولخداع الشعب السوري.
٧- العمل لخلط الأوراق والضغط على بعض القوى الفاعلة في الأزمة السورية.

إن وصول سوريا ومناطقنا الشهباء إلى هذا المنعطف التاريخي الخطير؛ يفرض على كلّ وطني حرّ التحرّك لتحمّل مسؤولياته وواجباته الأخلاقية تجاه أرضه وشعبه، والعمل بما تفرضه عليه خصاله وضميره لإنقاذ منطقتنا الشهباء خاصة وسوريا عامة من براثن قوى القتل التي أباحت الإجرام وسفكت الدماء وعاثت في الأرض فساداً كبيراً، وكانت السبب في تشرّد أهلنا ونهب ممتلكاته إضافة إلى اعتقال خيرة أبنائنا وزجّهم في المعتقلات التي يندر أن نجد لها مثيلاً في التاريخ البشري، هذا إلى جانب أساليبهم الوحشية والدنيئة في تهجير سكانها الأصليين.

وفي ضوء فشل كل المؤتمرات الدولية والمساعي الدبلوماسية وارتفاع وتيرة العنف وتفشي الإرهاب وعجز المجتمع الدولي عن وقف نزيف الدم السوري الذي أصبح سلعة للمزاد بين القوى والأجندات الإقليمية والدولية، من هذا المنطلق، قامت اللجنة التحضيرية لمجلس أعيان وشيوخ مناطق الشهباء بتوجيه الدعوة إلى جميع الوجهاء والعقلاء والغيورين في مناطق الشهباء للعمل على إعادة روابط الأخوة والثقة المتبادلة بين أبناء مجتمعنا السوري عامة ومناطق الشهباء خاصة، لرصّ الصفوف والتكاتف والتضامن وتوحيد الجهود لطرح آلية إعادة اللحمة الوطنية للتمكّن من مقاومة القوى التي تدمّر وتقتل وتشرّد وتدنس المحرّمات وتروّع ليلاً ونهاراً، ثمّ تتفنن في الإجرام الذي يُندى له جبين البشرية جمعاء. وبعد الحوار والنقاش المكثّف والمستمرّ بيننا توصلنا لضرورة انعقاد المؤتمر التأسيسي لمجلس أعيان وشيوخ مناطق الشهباء التاريخية، وبحضور جميع المكوّنات، عرباً، كرداً، تركماناً وشركساً، لإيجاد صيغة تمثيلية جامعة لمختلف مكونات المنطقة التي تعتبر مفتاح حل الأزمة السورية ومدخلاً لوقف شلال الدماء وقطع الطريق أمام التدخلات الخارجية لبناء سوريا ديمقراطية تعددية لكل أبناءها، لذا قمنا بتوجيه الدعوة لكل العقلاء من وجهائنا الأكارم والشخصيات الوجيهة والشيوخ الأفاضل والوطنيين المخلصين والمثقّفين الأحرار والقادة العسكريين الشرفاء ممن ضحّوا بكلّ ما لديهم في سبيل بناء سوريا حرّة لجميع أبنائها، للمشاركة في الجهود والمساعي الرامية لتأسيس مجلسنا، في سبيل إصلاح ما أفسدته تلك القوى الباغية التي سفكت الدماء وأفسدت الأرض ونكلت بالعباد، لرأب الصدع بين مكوّنات مناطقنا ولإعادة الحياة الكريمة مجدداً إلى ربوع مناطقنا كما عهدناها، شاكرين لكم تلبية دعوتنا لتشكيل مجلس أعيان وشيوخ مناطق الشهباء، ولتحقيق أهدافنا السامية وخدمة لمصالح شعبنا في وقف نزيف الدم المسال ووضع آلية للحوار والتواصل، نلخّص أبرز مهام مجلس أعيان وشيوخ مناطق الشهباء في النقاط التالية:

١- إعادة اللحمة الوطنية بين جميع مكوّنات النسيج الاجتماعي السوري عامة ومناطق الشهباء خاصة عبر النقاش والحوار والتواصل المستمرّ.
٢- تكريس ثقافة التعايش السلمي الحرّ بين جميع الأطياف والأعراق والأديان والمذاهب في مناطقنا ونبذ ثقافة التعصّب القومي والتطرّف المذهبي بين أبناءها والعمل على القضاء عليها.
٣- التشديد على رفض التدخلات والإملاءات الخارجية التي تزرع الفتنة والشقاق بين أبناء المجتمع السوري.

٤- بناء جسور الثقة والتسامح والأخوة والتوافق بين أبنائها للحيلولة دون تفاقم الخلافات البينية والتأكيد على مبدأ المصالحة الاجتماعية.

٥- وجوب العمل على وضع آلية لتقريب وجهات النظر بين أطياف مناطقنا خصوصاً وسوريا عموماً، ووضع خطط ورؤية مشتركة بين قواها الوطنية الفاعلة.

٦- قيام مجلس الأعيان والشيوخ بالدور المطلوب لحلّ الإشكاليات وفضّ المنازعات والصراعات بين أبناء مناطقنا، والإشراف على تسيير أمور مناطقنا، عبر تشريع قوانين مدنية تلائم واقعنا.

٧- الدعوة لإطلاق حوار لتقريب وجهات النظر بين الفصائل الوطنية المسلّحة، وتحريم الاقتتال الداخلي وصولاً إلى تشكيل جبهة موحّدة ضدّ القوى التي تستهدف مناطقنا.

٨- وضع التصور والخطط الكفيلة بالاستفادة من موارد وثروات مناطقنا لما فيه خير سوريا عموماً ومناطقنا خصوصاً.

٩- مناشدة قوات سوريا الديمقراطية وكل الفصائل الوطنية لمدّ يد العون والمساعدة في تخليص مناطق الشهباء من إجرام المنظمات الإرهابية.

١٠- دعم مجلس سوريا الديمقراطية في جهوده لإيجاد حل سلمي ديمقراطي للأزمة السورية بما يحفظ حقوق جميع المكونات والقيام بدور فعال ضمن المجلس.

عاش الشهداء ممن ضحّوا في سبيل سوريا

عاشت سوريا لجميع أبنائها

عاش أبناء مناطق سهول الشهباء التاريخية

٢٨/ كانون الثاني/٢٠١٦ **اللجنة التحضيرية لمجلس أعيان وشيوخ مناطق الشهباء**